# الإنجيل

## بقلم المعلم الانطاكي الشماس

## اسبيرو جبور

قال الربُّ يسوع ليسَ بالخبزِ وحدَهُ يحيا الإنسان بَل بِكلِّ كلمةٍ تخرجُ من فمِ الله. وقال بولس الرسول في الفصل السادس من رسالتِهِ الى أَهل أَفسس إِنّ كلمة الله هي سيفُ الرُّوح ندفَعُ بِهِ سهامَ الشيطان الملتهبة. وقال في الفصل الرابع من الرسالة الى العبرانيّين إِنّ كلمة الله أَمضى من كلِّ سيفٍ ذي حدَّين وهي تخترقُ الإِنسان برُمَّتِهِ الى مفاصلِ النفسِ والجسد أَي أَنَّها تَشُعُّ بالإِنسانِ برُمَّتِهِ. كيف تَشُعُّ؟ إِنَّها تنتشرَ في كلِّ الإِنسان إِنتشاراً كاملاً ساحقاً فلا تدَعْ مكاناً في الإِنسان بدونِ أَن تتغلغل فيه.

نقول في الصلاة الربَّانية "خُبزَنا الجوهرِ أَعطِنا اليوم" وخبزَنا الجوهرِ ليس الخبز المستخرَج من الحِنطة بل هو الخبز الروحي، والخبز الروحي هو القربان وكلام الله. هذا هو الخبز الما فوق الجوهرِ كما يقول Theophilaxe البلغاري في القرن الحادي عشر.

كلمة épiousion اليونانيَّة يأخذُها مكسيموس المعترف من معناها الحقيقي. فيها épi (أي فوق)، أَي الخبز الفوق الجوهَرِ، أَي القربان وكلام الله. هذا هو الطعام الحقيقي الّذي يُحيي الإِنسان. لم يكن مكسيموس المعترف إِلّا عبقريّاً في اللُّغة اليونانيَّة.

يسوع في الفصل السادس من إِنجيلِ يوحنا، قال إِنّ كلامَهُ هو روحٌ وحياة. هو كلامٌ روحانيٌّ موجَّه روحانياً وهو كلامٌ حياتيٌّ يُحيي الرُّوح. بولس قال إِنّ الروحاني يحكم في الأَشياءِ روحانياً لا جسَدياً. الإِنجيلُ هو **كلامُ الله** كتَبَه أَربعةٌ من الرُسل وهم: متى ومرقس ولوقا ويوحنا. متى ويوحنا هما من الإِثنَي عشر. لوقا هو تلميذٌ لبولس. مرقس هو تلميذٌ لبولس ثم لبطرس ثم للإِثنَين لما كانا في روما.

قال ايريناوس أُسقف ليون في القرن الثاني " الإنجيل المربّع الشكل" أَي أَنّ الإِنجيل هو واحدٌ ولكنّهُ في أَربعة أشكال tetramorphon . tetra أي أربعة و morphy أي شكل، صورة.

الإنجيل هو واحدٌ، إنّما كتَبَهُ أَربعةٌ بإلهامٍ من الرّوحِ القُدُس ولِكُلِّ واحدٍ منهُم شخصيّتُهُ. لدَينا إذن أربعةُ شهود.

في المحاكم، شاهدان أَفضلُ من شاهدٍ واحد إذا كانا صادِقَين، وأَربعةُ شهود كمِّيّةٌ وافيَة ليكونَ الخبرَ صادقاً.

حياةُ يسوعَ المسيح له المجد لم تجرِ في الخفاء. فهو طافَ فلسطين وزارَ صور وصيدا وعَبَر منطقة البقاع الى منطقة دمشق وسارَ في المنطقة في إتجاه الجنوب ثم إنحدَر الى بحيرة طبريّا. ومن ثمّ إنتقل الى منطقة بيت صيدا في الزاوية الشرقية الشمالية من بحيرة طبريَّا في فلسطين، وزار مرّةً الضفَّة الشرقية لبحيرة طبريّا. الرجل إذن طافَ في المنطقة وزارَهُ أُناسٌ كثيرون.

في إنجيلِ متى نرى أَنّ طالبي الشفاء وطالبي الإستماع اليَهِ قد أَتَوا من أُورشليم واليهوديّة وشاطىء صور وصيدا وكل سوريا والمدن العشر التي تمتدُّ من دمشق وحتى عمَّان نزولاً الى بحيرة طبريّا ونهر الأُردن.

كان يسوع يُعلِّمُ أَيضاً في أُورشليم القُدس أَثناء الأَعياد اليهوديّة، فكان يأتيهِ يهودٌ قادمينَ من كلِّ أَنحاء الأمبراطوريّة الرومانيّة والأَمبراطوريّة الفارسيّة لِيَستمعوا إليَهِ وإنجيل يوحنا واضحٌ في ذلك. وفي يوم العنصرة كان في أورشليم يهودٌ من أَنحاء الأمبراطوريَّتَين كما ذُكِرَ في أَعمال الرسل.

يسوع له المجد تكلّم إذن علانيّةً، وعلّمَ علانيّة، وتهافت عليهِ الناس من كلِّ فجٍّ وصَوبٍ لنَيلِ الشفاء. شفى مرضى متنوّعين وأَقامَ مَوتى وطَرَدَ الشياطين بكميّاتٍ كبيرة. ممسوس منطقة جدَرَة كان فيه عددٌ كبير من الشياطين، سألَهُ يسوع ما اسمُك فقال" légion ". كلمة " légion "، كلِمة لاتنيّة تعني فيلَق عسكري، والفيلق الروماني كان يتألّف من عشرة آلاف جندي. عدد الخنازير في إنجيل مرقس هو ألفان. فكان في هذا الشخص ألفا شيطان على الأَقل إن لم يكُن فيهِ عشرة آلاف. طرَدَهُم يسوع وسجّل نصراً ساحقاً على الشياطين.

لم يكن يسوع خافياً وبِشارَتَهُ لم تَكُن في الخفاء. إنتشرت بشارَتَهُ في الأَنحاء رُغم أَنف المقاومين من يهود ووثنيِّين. نعرفُ من أَعمالِ الرسل ومن تاريخ الكنيسة الشيء الكثير عن المقاومات وعن الشهود العديدين الّذينَ ماتوا شُهداءً من أَجلِ إِيمانِهم بربِّنا يسوعَ المسيح. فليسَ من أَمرٍ خافٍ في هذا الموضوع.

الكنيسة قامت في الحوض المتوسط أَوّلاً على أَساس الإِيمان بيسوعَ المسيح وعلى بشارةِ الرُسل، وما سجّلَهُ الإِنجيليّون الأَربعة في أَناجيلِهم ما هو إِلّا تكريس لِما كان يُبشِّر به الرُسُل شَفوياً

الأَناجيل هي البِشارة المكتوبة ولكن البِشارة الشفويّة كانت قبل هذه البِشارة المكتوبة. الكنيسة قبِلَت هذه الأَناجيل لأَنّها من تأليفِ رُسُلٍ موثوقينَ من جهةٍ، ولأَنّها تضمّنت محتوى بِشارة الرُسل جميعاً وليس الأَربعة فقط. فمتّى رسولٌ معروفٌ، ويوحنا رسولٌ مشهورٌ، ولوقا كاتبٌ كنسيٌّ مشهورٌ وتلميذٌ لبولس الرسول، ومرقس معروفٌ بصَحبِهِ: هو نسيبٌ لبرنابا ورفيقٌ لبطرس في روما ولبولس ايضاً في روما. فالرجال الأربعة موثوقون جداً في الكنيسة وفي ذلك الزمان.

الإِنجيل هو كلامُ الله يُروِي لنا حياةَ المسيح وفيه نبَذات عديدة عن حياتِهِ وعن تعاليمِه. إِعترفَ يوحنا الإِنجيلي بأَنّ الإِنجيل هو فَحوى كل شيء لأَنّ حياة يسوعَ المسيح تستهلكُ كلٌ ما في العالم من وَرَق. إِختارَ الإِنجيليوِّنَ الأَربعة نبذات من حياةِ يسوع ليؤمِنَ الناس أَنه هو المسيح إِبن الله.

تَرَكوا الباقي جانباً لكي لا تتكَدّس الأُمور، ومتى تكدّست الأُمور فقَدَت قيمَتَها. ولذلك نرى في الأَناجيل إِيجازاً إِنّما فيهِ إِشاراتٍ عديدة. فمَثَلاً الإِنجيليّان متى ولوقا يُكرّران في عدّةِ مناسبات أَنّ الناس تهافتوا على الرب يسوع بكميّاتٍ كبيرة طلَباً للشفاء فشفَى الرب عدداً كبيراً منهم. لو عدَّدا أَسماء الّذينَ شفاهُم الربُّ يسوع لتضَخّمَ الكتاب جداً، ولكنّهُما اكتَفَيا بهذه الإِشارات العابِرَة واختارا بعضاً من العجائب فذَكَراها.

تتقاربُ الأَناجيل الثلاثة الأُولى أَي أَناجيل متى ومرقص ولوقا. فَهُم يتقاربونَ أَحياناً ويختلفونَ أحياناً، كلٌّ واحدٍ منهُم لهُ قلَمهُ. يختارُ من الحوادث ما يُشابِه حوادث الآخرَين، ويختارُ أَشياءَ أُخرى ما اخْتارها الآخران وإِنما أَلمحا اليَها.

تَبسُط لنا الأَناجيل الأَربعة كمِّيةً هامَّةً من حياةِ الرب يسوعَ المسيح ومن تعاليمِهِ الراقيَة. في دراسةِ كلِّ إِنجيل دِراسةً دقيقةً نرى أَنّ كلّ إِنجيليٍّ قد وضعَ لنفسِهِ مخطَّطَهُ.

عجزَ العلماء في القرنَين التاسع عشر والعشرين عن التَوفيق بين الأَناجيلِ الثلاثة الأُول، فهيَ متميزة ولا يمكن إِخضاعها لمصدَرٍ واحدٍ يجمعُ بينها على أَساس أَنّهم نَقلوا من مصدَرٍ واحدٍ.

منذ القرن الثاني للميلاد قام تاتيانوس (Tatien) من بلاد ما بين النَهرَين بِضَمِّ الأَناجيل الأَربعة في إِنجيلٍ واحدٍ، ولَكِن كلٌّ هذه المحاولات لم تنجح منذُ ذلك اليوم الى الآن.

ولذلك قال الأب لاغرانج (Lagrange) في العام 1927 بعد جهودٍ عملاقة في الدراسات، أَنّ خيرُ سيرةٍ ليسوع المسيح هي في الأَناجيل الأَربعة.

حاولَ كثيرونَ أَن يُنظِّموا إِيذائيّات (synopses) تتَّبِع التسلسل التاريخي. ولكن في العام 1965 نُظِّمَت في المانيا إِيذائية إِعتمدَت القرابات بين النصوص مع شيءٍ من التسلسل التاريخي، ولكنها ركّزت على قرابات بين النصوص.

في العام نفسه صدَرت إِيذائيّة فرنسيّة مشابهة لها، أَي أَنّ العلماء الأَلمان والفرنسيّين قد وصلوا الى حقيقةٍ أَساسيّة وهي أَنّ دَمج الأَناجيل في إِنجيلٍ واحدٍ هو أَمرٌ عسيرٌ جداً. المهمُّ إِذن هو الإِعتماد على القُرابَة بين النصوصِ الأربعة.

هنالك في العالم آلاف المخطوطات اليونانيّة للعهد الجديد فضلاً عن الترجمات و لم يذكر أحدٌ كتابٌ للمسيحيّة غير العهد الجديد. إِنجيل برنابا بِلا ذكر في التاريخ قبل إِكتشافِه حديثاً. فهو مجهولٌ كلّياً ولا توجد مخطوطات منهُ. مضمونُه يُخالف العهد الجديد وهو يتحامل كثيراً على بولس الرسول.

نعرف من العهد الجديد أَنّ اليهود قاوَموا كثيراً بولس الرسول بسبب نشاطِه المفرِط في العمل

الكنَسي. المسيحيُّون في العالم كلِّه متّفقون على النص اليوناني للعهد الجديد، فهو نصٌّ ثابتٌ منذ القرن الأوّل للميلاد حتى يومِنا هذا. هناك ترجمات الى لغات الدنيا كلِّها، وهناك ترجمات جيدة جداً. ولكن يبقى النص اليوناني هو الأَساس. والمترجمون ذوو الأَهليّة ترجموا الى لغّاتِهم الأَصلَ اليوناني. وإِن كانَ لأَحدٍ شيء يقولُه فَعَليه أَن يقولَهُ بالإِستناد الى النصوص اليونانيّة لأَنّها هي النصوص الأساسيّة لدى كل الطوائف المسيحيّة منذ بداية المسيحيّة حتى يومِنا هذا. لم يَكن للمسيحيّة كتابٌ غير هذا الكتاب، فهو الكتاب الوحيد المعتَمَد لدى جميع المسيحيّين وكلُّ شيءٍ يُعاديهِ مرفوض جَذرياً وكلّياً، لا كتابَ آخر للمسيحيّين سِواه. إِن جاءَ أَحَدٌ بشيءٍ آخر رفَضناهُ كلّيًّا لأَنّنا لا نقبَل الجَدَل في صِحّة العهد الجديد. تاريخيًّا النساطرة إنفصلوا في العام 431 ، وأَصحاب الطبيعة الواحدة إِنفصلوا بعد المجمع الخلقيدوني عام 451 وخِلافاتنا معهم معروفة لكنّنا كلُّنا نؤمن بالأُمور الأساسيّة فلا نختلف في النصوص اليونانيّة ولا في الأُسُس الكُبرى. هناك خلافات في التفسير ولكن الأُصول واحدة. هذه الأُمور الخِلافيّة ظهرَت في زمانٍ معيّن ولا تزال موجودة حتى اليوم ولكنّنا كلُّنا نؤمن بالثالوث القدُّوس، وكلُّنا نؤمن أَن المسيح تجسدَ، وكلُّنا نؤمن بأَنّ المسيح صُلِبَ ولا نقبل بغير ذلك فإِيمانُنا راسخٌ لا يهتزُّ أَمام أَي صعوبةٍ في العالم.

الإِنجيلُ هو كلامُ الله. ولذلك يحتاجُ المرء الى خشوعٍ وتقوَى من أَجلِ إستيعابِهِ. منذُ نيّفٍ وتسعة عشر قرناً والمسيحيُّون يتهافتون على مطالعة الإِنجيل. كتَبوا كثيراً في التفسير والشرح ولكن، هل إستَوعَبوا الموضوع؟

أَلا يأتي المفسِّر حينَ يشرح الإِنجيل بمعانٍ جديدة في كلّ عامٍ ؟ أَلا يكتشف باستمرار هذا المفسِّر الكبير الّذي يسعى للتفسير معانٍ جديدة في الإِنجيل؟

كلمةُ الله واسعة جداً. ما من مُفَسِّرٍ استطاعَ حتى اليوم أَن يُلِمَّ بكلِّ ما في الأَناجيلِ من معانيَ ساميةٍ. إِن تَلوَناه يومياًّ، وجَدنا فيه يومياًّ معانيَ جديدة. هو البحرُ الفوَّار. لا تنضُب معانيه أَبداً لأَنَّهُ كلام الرُّوح القُدُس.

ولذلك فقراءة الإِنجيل لا تكون كقراءةِ الجرائد والروايات والكُتُب والمجلات. قراءةُ الإِنجيل تتطلَّبُ إِستلهام الرُّوح القُدس لكي يَنقُشَ الرُّوح القُدس الإِنجيل في طيَّاتِ نفوسِنا. ليس الإِنجيلُ كتاباً للحفظ عقلياًّ. ولذلك أَخطأَ النُقَّاد في قراءةِ الإِنجيل وتفسيرِه. قد إِستعمَلوا العقل البارد والرُّوح القُدُس هي نارٌ حامية.

لا يتغلغل الإِنجيل إِلّا في النفسِ الملتهبة بالإِيمانِ والمحبَّة، لا يتغلغل إِلّا بنفسٍ تتضوَّر جوعاً الى يسوع، تشتاقُ الى يسوع، تُريدُ أَن تلتهمَ يسوع. يجب أَن نعتبرهُ مناولةً، نتناول الإِنجيل كما نتناولُ القربان. يسوع هو كلمةُ الله الذي تجسَّدَ كما قال يوحنا في الفصل 1 الآية 14 :" والكلمةُ صارَ جسَداً وحلّ فينا وقد أَبصَرنا مجدَهُ مجدَ وحيدٍ من الآب، ممتلئاً نعمةً وحقًّا". وهو ايضاً الكلمةُ التي صارَ خبزاً وخمراً، وهو أَيضاً الكلِمة الّذي صارَ إِنجيلاً. فإِذن، تتمُّ مطالعة الإِنجيل كأَنّ المطالِعَ يتناول الإِنجيل. يُطالِع الإِنجيل وهو يبتلعُ المسيح، يسيرُ معَهُ من مكانٍ الى مكان. إِن طافَ يسوع في الأَمكِنَة طافَ معهُ، إِن صُلِبَ على الصليب صُلِبَ معهُ.

أَلَم يقُل بولس الرسول: "حاشا لي أَن أَفتخر إِلّا بصليبِ ربِّنا يسوعَ المسيح" ؟. أَلَم يَقُل: " مع المسيح صُلِبتُ فأَحيا لا انا بل المسيح يحيا فيّ "؟. أَلَم يَقُل: " وما لي من الحياة الآن إِلّا ما أَحياهُ في الإِيمان بإبنِ الله الّذي أَحبَّني وبذَلَ نفسَه في سبيلي" ؟

هذا كلامٌ عميقٌ ونطبّقه كما هو. ولذلك فنحنُ نحيا الإِنجيل. نحن لا نطالع الإِنجيل ولا نقرأ الإِنجيل، نحن نحيا الإِنجيل. نحن نأكل الإِنجيل، نحنُ نلتهم الإِنجيل كما تلتهمُ النار العُشبَ اليابس. لَدينا ظَمأٌ يخلُقُنا الى الإِنجيل. الشوقُ الى الإِنجيل فينا نارٌ ملتهبة. لا نُمسِك الإِنجيل كما نُمسِك أيَّ كتابٍ آخر، نُمسكُهُ باحترامٍ مُطلَق، نقبّلُهُ، نضَعُهُ على جباهِنا، تتبرّك جباهُنا وشِفاهُنا بهِ.

هذا كتابُ الله، هذا كلامُ الله. الرُّوح القُدُس كما قال مكاريوس المنحول، هو الّذي يَنقُشُهُ فينا. كيف ينقشُهُ فينا؟ ينقشُهُ فينا أَي يُجسِّدُهُ فينا ويُصبحُ مطبوعاً فينا. وهو كلمةُ الله وكلمةُ الله حيَّةٌ إذن.

كتابٌ حيٌّ يمتزجُ بنا ونمتزجُ به كما نمتزجُ بالقربان والقربان يمتزجُ بنا. هكذا يمتزجُ الإنجيل بنا. لا يُقرأ الإنجيل على البارد كما نقول باللّغة العاميّة، لا يُقرأ إلّا على نارٍ حاميَة.

الإنجيل لا يترل في القلوب الموضوعة في الثّلاجات، لا يترل في القلوب الحجَريّة، يترل في قلوبٍ من نار. ولذلك فتأثيرُهُ على القلوبِ الباردة هو محدودٌ، أَمّا تأثيرُهُ على القلوبِ الملتهبة فهوَ تأثيرٌ كبيرٌ. الرُّوح القُدُس الّذي أَوحى بهِ هو الّذي يكتبُهُ في أَرواحِنا. لذلك، فالقارىء المسيحي الحقيقي يمتزجُ بالإنجيل كما يمتزجُ بالقربان، ويتغلغلُ فيه الإنجيل كما يتغلغلُ في القربان.

لم يُكتَب الإنجيل للتسليَة من هذه الناحية ويختلف عن كلِّ كُتُب الدنيا. هو كُتِبَ ليُصبحَ الإنجيلَ المتَجَسِّد كما تجسَّدَ يسوع من مريم العذراء. هكذا يتجسَّد الإنجيلُ فينا ويُصبح وإيَّانا شيئاً واحداً ونُصبحُ نحنُ الإنجيلَ الحيّ.

إنجيل الورق مكتوبٌ ليُصبحَ الإنجيل الحيّ. ومَن هو الإنجيل الحيّ؟ هُمْ الّذينَ صارَ الإنجيلُ ملءَ حياتِهم. تَغَلغَلَ الإنجيلُ في ضمائرهِم فصارَت ضمائرُهم قلباً حيًّا للإنجيل أَي قلباً يُحرّك سلوكَهم الأَخلاقي كما يُحرِّك القلب الدواء في الجسد.

الإنجيلُ مكتوبٌ لِكَي يُصبِحَ قلبَ روحي الّذي يُحرّك روحي في كلِّ عمَلٍ صالحٍ. الإنجيل مكتوبٌ لِيُنقَشَ في ضمائر المؤمنين وتُصبح كلماتَهُ هي الموتور الكهربائي الذي يُحرّك أَفكارَ المؤمنين وأَلسنتَهُم وأَفعالَهم فيصير الإنجيل فيهم هو الفاعل بالرُّوحِ القُدُس طبعاً. هذا الإلتحام بالإنجيل يحتاجُ الى صلواتٍ والى إيمانٍ. إن إلتَهَمْتَ الإنجيل إلتهَمْتَ يسوعَ معَهُ. أَتُعاشر الإنجيل؟ إذن، انتَ تُعاشر يسوعَ المسيح. كلُّ تفاصيل حياة المسيح تتجسَّدُ فيكَ. تحيا المسيح مجدَّداً والمسيح يحيا فيكَ وأَعمالُه تعمل فيكَ. كلامُه هو كلامُكَ، فِكرُهُ هو فِكرُكَ. علّمَنا بولس " فليَكن فيكُم الفِكرَ الّذي في المسيحِ يسوع ".

فِكرُكَ يصيُر فِكر المسيح، حركاتُك حركات المسيح، تصرُّفاتك تصرُّفات المسيح، يصيرُ المسيح حيًّا فيكَ.

الإنجيلُ إذن، ليسَ حرفاً بل هو روحٌ. الحرفُ يقتل كما قال بولس أَمَّا الروحُ فيُحيي. الفَرقُ بين شريعة موسى وشريعةُ المسيح هو ما عبَّر عنهُ بولس بقوَّةٍ هائلة. شريعةُ موسى هي شريعةُ الحرف الّذي يقتل، شريعةُ المسيح هي شريعةُ الرُّوح الّذي يُحيي.

تنبَّأَ حزقيال وأَرميا عن تغيير القلوب فاستشهدَتْ الرسالة الى العبرانيّين بهذا النص، هذا القلبُ الحجر يغيّرهُ الله والشريعة لم تَعُد مكتوبةٌ على أَلواحٍ حجريَّة دُفِعَت الى موسى، فصارَت مكتوبة على القلوب بالرُّوح القُدُس. هناك إمتزاجٌ كبيرٌ بيننا وبين يسوع والرُّوح القُدُس. فلذلك ليس الإنجيل حُروفاً كَكُلِّ الكتب. الإنجيل روحٌ مُحييَة، يُحيي العِظام وهي ميّتة. الإنجيل هو كلامُ الرُّوح القُدُس وكلامُ الروح القُدُس يُحيي.

ولذلك فللمسيحي يلتهمُ الإنجيل بجوعٍ هائل. كما تلتهم الحيوانات الجِيَف بشراهةٍ نادرة، كذلك المؤمن يلتهمُ الإنجيل بشراهةٍ نادرة. المسيحي هو مسيحيٌّ بهذه النيران الملتهبة بداخلهِ، المسيحي ليس من جليدٍ ولا من ثلجٍ، المسيحي هو من نار الرُّوح القُدُس.

في التثنيَة والرسالة الى العبرانيّين " إلهُنا نارٌ آكِلَة ". نارُ الإنجيل تلتهمُ المؤمن. سمعان اللّاهوتي الجديد قال إنّ الإنجيل نورٌ. هذا النور الإلهي يلمعُ في قلوبِنا، في صدورِنا، في أظافرنا، فلا يبقى فينا مكانٌ مظلمٌ.

في إنجيلِ لوقا، النورُ الإلهي لا يُبقي مكاناً مُظلماً في النفس، النور يُنيرُها برُمَّتِها. النور الّذي فينا لا يتحوَّل الى ظلام. نورُ الرُّوح القُدُس يُنيرُ شخصَنا برُمَّتِهِ فنُصبح نوراً من نورِهِ. بولس قال، كان المجد على وجهِ موسى وكان عابراً. وبالنسبة للمؤمنين قال، " لأَنَّ الله الّذي أَمرَ أَن يُشرِقَ من الظُلمةِ نورٌ هو الّذي أَشرقَ في قلوبِنا لِإنارةِ معرفة مجدِ الله في وجهِ يسوعَ المسيح" ( الرسالة الثانية الى أَهلِ كورنثوس الفصل 4 الآية 6).

يوحنا فم الذهب قال: كان المجد في العهد القديم خارجيًّا على وجهِ موسى. في العهدِ الجديد النورُ يسكنُ في القلب ويسكنُ بصورةٍ دائمة. النورُ الإلهي الساكنُ في قلوبِنا هو الّذي يجعلُ الإنجيلَ يُشعشعُ في كلِّ كيانِنا. الإنجيلُ إذن يتجسّدُ فينا فنُصبح وإيَّاه شيئًا واحداً، يُصبحُ المحرّك الحقيقي لكلِّ شيءٍ فينا. لا نتحرّك إلّا بوَحي الإنجيل، لا نُفكِّر إلّا بوَحي الإنجيل، لا نعمَل إلّا بوَحي الإنجيل، لا نتكلّم إلّا بوَحي الإنجيل.

في بلادِنا عادَة حلف الأَيمان البَشِعة منتشرة على نطاقٍ واسعٍ ولكنَّ المؤمن مَتى طالعَ كلام الرب يسوع الّذي يمنعَنا مَنعاً باتًّا من أَن نقسم ومتى تذكّرَ أَحَدُنا كلام الرب يسوع بِضَبْطِ الّلسان، كَوى لسانَهُ عن النُطقِ بالأَيمان، فلا يحلُف.

يكوي الإنجيل لسانَهُ بكلام الرب يسوع "لا تحلفوا البتّة". هُنا مِسكُ الختام، يمتنع مئة بالمئة عن الحلَف.

علّمَنا يسوعَ المسيح أَنّ الشيطان هو أَبو الكذب والكذَّابين. متى طبّق الإنسانُ ما جاءَ في الفصل الثامن من إنجيلِ يوحنا، كوى لسانَهُ فإمتنعَ نهائياً عن الكَذِب وتعوّدَ الكلام بصدقٍ وصراحة.

يُصبح الإنجيل المحرّك الّذي يُحرّك أَفكارَنا وألسنَتنا وأَيدينا وكلّ شيءٍ فينا. لا نأتي بأيّ عملٍ إلّا بموجب حكم الإنجيل فيُصبح الإنجيل فِكرَنا والموحي الكبير الينا. إذن، ليس الإنجيل قصّة وليست سيرةُ المسيح في الإنجيل روايةً مثل كلِّ الروايات. هذا الكتاب العظيم نَلتهمُهُ كما جاءَ في حزقيال النبي تمثُلاً كاملاً حتى يُضحي إيّانا وأُضحي انا إنجيلاً أَي يُضحي الإنجيلُ إنساناً ويُضحي الإنسانُ إنجيلاً.

لا يُمكن التفريق بيني وبين الإنجيل لأَنني صِرتُ انا الإنجيل. لهذا السبب كُتِبَ الإنجيل لِكَي انا أَصير الإنجيل الحيّ. هكذا فَهمَ آباء الكنيسة الإنجيل فعاشوه. حينما نقرأ آباء الكنيسة نراهُم إنجيلاً حيًّا. نأخذ باسيليوس الكبير، غريغوريوس الّلاهوتي ويوحنا فم الذهب وسواهم من الآباء العِظام فنرى أَنّهم أَناجيل حيّة. ليسوا هؤلاء من نفايات الناس، هم كُتّابُ زمانِهم، وعلماء زمانِهم، وفلاسفة زمانِهم.

ولكن بِهِمْ تغيِّر شكل الفلسفة. كانت الفلسفة قبلَهُم تأَملات نظريّة وأَبحاث، فجاءَ أَبناء الكنيسة وصَلَبوا أفلاطون وأرِسطو والفلسفة والعلوم اليونانيّة وصارت الفلسفة هي نمط حياة المسيحي في يسوع المسيح. هذه هي الفلسفة الحقيقيّة لا الفلسفة النظريّة كما في أفلاطون وأرسطو وسواهم.

إستمرّ آباء الكنيسة الناطقون باللغة اليونانيّة يصلبون الفلسفة اليونانيّة وهم أُدباء اللّغة اليونانيّة. نَبَذوا الفلسفة اليونانيّة وعرَضوا فلسفة الحياة المسيحيّة. إستَمرّ هذا النهج حتى جاءَ في القرن الرابع عشر غريغوريوس بالاماس يُسجّله بصورةٍ نهائيّة قاطعة لا يستطيع التاريخ مهما طال أَمرُه أَن يُزَلزِلُه. فرفضَ تأثُّر الغرب بالفلسفة اليونانيّة الوثَنيّة واستمرّ في نهج الآباء القدّيسين من أَسلافِه الّذينَ رفَضوا أفلاطون وأرسطو لأَنّهم يتكلّمونَ ويكتبونَ باللّغة اليونانيّة، فثقافتُهم هي يونانيّة.

أَتَوا بالفلسفة المسيحيّة التي هي نمط الحياة المسيحيّة. أفلاطون وأَرسطو لا يؤثّران في الحياة الشخصيّة، أَمّا الإنجيل فيُبدِّل كيان الشخص روحيًّا فيُضحي الإنسان كائناً جديداً. الإنجيل يُجدِّد حياة الإنسان ويُغيّرها فيُصبح كائناً جديداً وإنساناً جديداً ممتلأً من الرّوحِ القُدُس، يَحوي يسوعَ المسيح في قلبه.

وما علاقة الفلسفة اليونانيّة الوثنيّة وثقافتها وأَساطيرها في هذا النمَط من الحياة. هي ضد الرّوح القُدُس لأَنّها وثنيّة في النتيجة. الإنجيل أَتانا بشيءٍ جديدٍ كُلّيًا وهو الإمتلاء من يسوع المسيح ومن الرّوحِ القُدُس. فلذلك كل العلوم وكل الفلسفات منذ بداية التاريخ والى نهاية التاريخ هي على الهامش ولا تُلامِسُ الحياة. أَمّا الإنجيل فهوَ الحياةُ بعَينها، هو الّذي يُحيي العظام وهي رميم. المهمّ هو أَن نلتهم الإنجيل لا أَن نتسلّى بالإنجيل، أَن نُطالع الإنجيل بإمعانٍ كبير، بتَقوى، بعِبادة، بصَلوات، بسُجود وأَن نؤدّي للإنجيل إحتراماً كبيراً جداً. لا يُمكن أَن يُمسِكَ المسيحي الحقيقي الإنجيلَ بخِفةٍ. يُمسِكهُ باحترامٍ فائق، بتقديس. يتبارك بهِ، يقبّلُه بإيمان، يخبّئُه، يسجُد أَمامه.

في الأُرثوذكسيّة إحترامُ الإنجيل شيءٌ عظيمٌ جداً. نضَعه على المائدة المقدّسة الى جانب الكأس المقدّسة. هذا الرَبط بين الكأسِ والإنجيل مهمٌّ جداً. الكأسُ مناولة والإنجيلُ مناولة. علينا أَن نأخُذَ بعينِ

الإعتبار هذا الإكرام ولِنَتَعامل مع الإنجيل في الكنيسة بتَقوى وعِبادة حَسَنة، وحينذاك يُشرِق نورُهُ في قلوبنا.

علينا إذن أن نربِّي أَولادَنا على احترامِ الإنجيل، على تقبيلِهِ وعلى تقديسِهِ. ولكن هل نحنُ أَنفسُنا خاضِعونَ لهذا المبدأ؟ علينا أَن نجري مراجعة عامَّة على كلِّ تصرُّفاتِنا. لو كان النُقّاد الثرثارون يلمسونَ الإنجيل بتَقوى لما صاروا مُلحدين. سبب الإلحاد هو أَنَّهم تناولوا الإنجيل بدون تقوى ومَن يتناول الإنجيل بدون تقوى وخشوع وعبادة وصلاة يدفع الثمن غالياً.

الشيطان لا يحترم الإنجيل، المؤمن يحترم الإنجيل. ولذلك على المؤمن أَن يتجنَّب الأَساليب التي تختلف مع إيمانه. متى أَمسكَ الإنجيل من دونِ احترام دخلَ عليه فكرٌ غريب. مَن طالعَ الإنجيل بدون إيمانٍ عميق رأى فيهِ روايةً مثل كل الروايات، وكتاباً تاريخيًّا مثل كل الكتب التي توضع في المكتبات.

الإنجيل ليس كتاباً للمكتبات، هو كتابٌ للقلوب.

آباء الكنيسة والمؤمنون طالعوا نيِّف 19 قرناً، وارتَقوا بالإنجيل الى أَعالي السماوات.

كم فعلَ الإنجيل في التاريخ من مآثر؟ يوحنا فم الذهب أَنشأَ مقالات في امْتداح نجاح الإنجيل في العالم فتقدَّمَت الأَخلاق بواسطتِهِ.

لا نُفتِّش عن تأثيرِهِ على الدُوَل والجماعات، علينا أَن نفتِّش عن تأثيرِهِ في الأَفراد الّذينَ أَطاعوا الإنجيل والتَهموهُ وهم ليسوا بعددٍ قليل.

إن طالَعنا تاريخ الكنيسة وجَدنا فترات من الزمن عديدة كانت فيها في أَمكنةٍ عديدة أُناسٌ مُلتهبون بإيمان الإنجيل. كم أَخرجَت المسيحيَّة خلال 19 قرناً ونيّف من القدِّيسين والأبرار والصدِّيقين والرهبان والشهداء منذ ذلك الوقت؟ مَن حضَّر اوروبا ومدَّنها؟ الإنجيل. كانت الشعوب الروسيَّة قبائل بَدَويَّة أُمِيَّة من غير أَبجديَّة وكذلك غيرهم من الشعوب. مَن مدَّنَهُم، مَن غيَّر طِباع البشر ولو نسبيًّ ؟ الإنجيل. الله له المجد أَعطانا الإنجيل لنُبدِّلَ أَنفُسَنا بالإنجيل. فإذا كان الناس مُهمِلين، فالعيب هو

عيبُ الناس لا عيب الإنجيل. أَمّا كل الّذينَ وضَعوا الإنجيل في قلوبِهم وسَيطَرَ الإنجيل على حياتِهم فهؤلاء تبارَكوا وتقدَّسوا .

الّذينَ تقدّسوا كثيرون، ولكن ليسوا كلُّهم في مرتبةٍ واحدة، هناك درجات في القدّيسين. ولكن أَيُّ تقدُّمٍ يصنَعُهُ الإنجيل في أَيّ إنسانٍ كان في العالم، كان هذا التقدُّم مكسَباً كبيراً.

إمتصاص الإنجيل، إلتهام الإنجيل، تجسُّد الإنجيل في حياة الشخص، كلُّ هذا مسألة مهمّة جداً ولكنّها ليست يسيرة لأَن ذلك يتطلّب من الإنسان همّةً ونشاطاً واجتهاداً وإيماناً.

كيف يمتزجُ الإنسان بالإنجيل وهو لا يؤمن بالله ولا بالآخرة؟ لا بدّ من الإيمان. لذلك علينا أَن لا نتأثّر بكلام الملحدين والكُفّار والهراطقة الكبار الّذين شوَّهوا معاني الإنجيل، فهؤلاء بلا صفةٍ إطلاقاً لتعليمِنا. معلّمُنا الحقيقي هو ربُّنا يسوع المسيح وأمُّنا الكنيسة الأرثوذكسيّة عن يدِ عُلَمائها الأَبرار. فليسَ كلُّ عِلمٍ دينيٍّ هو عِلمٌ. العلمُ الدينيّ الحقيقي هو عِلمُ المتواضعين المنسحقين، الّذين تغلغلَ الرُّوحُ القُدُس والإنجيل الى كلِّ طيّاتِ نفوسِهم فغيّر باطنَهم وبدّل نفوسَهم وجعَلَهم أَبناءً لِلإله العظيم.

هؤلاء، بالإنجيل صاروا أَولاداً لله، أَولاداً للسماء.

أَيُّها الربُّ يسوع المسيح يا مَن تجسّدتَ من العذراء لخلاصِنا أَطلبُ اليكَ أَن تُجسّد إنجيلَك في قلوب المؤمنين لِكَي ينموا فيكَ لتُصبحَ انتَ فيهم الكلّ في الكلِّ. نعم يا إلهي يا يسوع، انت الكلُّ في الكلِّ وما سواكَ هو ظِلٌّ لكَ. الحقيقة المطلقة هي انتَ والباقي حقائق عابرة. لكَ المجد والإكرام والسجود مع أَبيكَ وروحكَ القدُّوس الى أَبدِ الآبدين ودهرِ الداهرين آمين. أَيُّها الرب يسوع المسيح إبن الله إرحمني انا عبدكَ الخاطىء آمين.